مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

شعريت الظاهرة الطللية في الشعر الأندلسي
(قراءة في النسق الثقافي)
the poetic ruinous phenomenon in Andalusian poetry
(Reading in the cultural format)

الطالب. عبد الجليل بضياف
abdeldjalilbeddiaf@yahoo.fr
د. رياض بن الشيخ الحسين
جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 25_09_2019 **تاريخ القبول: 19_02_2020**

الملخـــص:

يحتل موتيف الطلل مساحة واسعة في الشعر العربي القديم، فالنصوص الشعرية التي تبدأ بما أجمع النقاد على تسميته بـــ "المقدمة الطللية" خارجة عن الحصر. فالطلل يشكل في البنية الثقافية العربية واقعة ثقافية مؤرقة ومحيرة للإنسان العربي، نظرا لارتباطه بالمكان الذي يعيش فيه الإنسان/ الشاعر تجربةَ الحياة في إطار المجموع. ولكن معالجة الشعراء الأندلسيين للظاهرة الطللية لم تكن بالضرورة نسجا على المنوال الثقافي للشعراء القدامى، فالشاعر الأندلسي ظل مشغولا بهاجس الخراب الحضاري وتبدد الممالك وتمزق الشمل الاجتماعي والتحول السياسي بعيدا عن الاعتناء بالمترل الدارس وخرائب الحبيبة ورسوم الطفولة. فالمضمر الثقافي اختلف في الظاهرة الطللية عند الأندلسيين عنه لدى شعراء المشرق القدامى من الجاهليين وشعراء صدر الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الطلل –الزمن–الوجود –الموت –الأنسنة –الرمز –الحلم

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

Abstract:

Tull's motif occupies such an important place in ancient Arabic poetry that it is rare for a poetic text to be devoid of what critics unanimously call "the foreground." In the Arab cultural structure, it constitutes a troubling and confusing cultural reality for the Arab person, because of his attachment to the place where the man / poet experiences the life of the whole, But the treatment of the **Andalusian ruinous phenomenon** was not necessarily a pattern on the cultural pattern of the ancient poets, the Andalusian poet remained preoccupied with the obsession of civil ruin, dissipation of the Kingdoms and the rupture of social reunification and political transformation..The cultural format differed in the longitudinal phenomenon of Andalusians and that of the ancient Mashreq poets of the ignorant and poets of the early Islam.

KeyWords: Toll, Time, Presence, death, the Humanization, code, the dream.

المقدمـــة:

لقد عالج الشعراء القدامى في "مستهل قصائدهم قصة الدار الدارسة، فوصفوها وحددوا معالمها وتفننوا في تحديد مواضعها والإشارة إلى ملامحها التي تدل على وجودها في الزمن الماضي"[1].

ويعسر الاقتناع بشيء مما قاله "يوسف خليف" حين نسب المقدمة الطللية إلى ذلك العقد الاجتماعي بين الشاعر وقبيلته كونه لسان حال القبيلة وذراعها الإعلامية التي يروج لخطابها ويدافع عن هويتها ووجودها يقول: "وأن هذا العقد فرض على شعراء

[1]– بوبعيو: بوجمعة: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001: 36

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

القبائل عقدا فنيا آخر يجعل من الشاعر لسانا لقبيلته يتحدث باسمها ويضع شعره في خدمة قضاياها السياسية والاجتماعية"[1].

فمن العسير الاقتناع بأن المقدمة الطللية التي درج عليها الشعر العربي القديم حتى صارت "موتيفا" متمركزا في البنية الفنية والموضوعاتية للقصيدة العربية، يعسر الاقتناع أن ذلك إنما كان لمجرد مواضعة اجتماعية أو عرف فني بعيدا عن كل الإحالات الفلسفية والفكرية والسياسية والوجودية للشاعر العربي واستبعادا لكل حمولة ثقافية أو حضارية. ويستوقفنا من آراء النقاد القدامى رأي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276 هـ) الذي يقول: "سمعت أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن فبكى وشكا، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العُمُد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب.. ليميل نحوه القلوب"[2]. وقد سفه هذا الرأي المستشرق "براونة"[3] بقوله: "ما أغرب هذا التفسير"[4]. ثم يقول: "ومن المفهوم أن كل ما يسوقه من وصف للناقة والصحراء ومن فخر بالقبيلة وهجاء العدو جدير بجذب انتباه مجتمعه. فما الذي يلزمه إلى طلب الإصغاء؟ وما الذي يوجب عليه الأبيات الغريبة؟ ألزام عليه أن يميل أهله بمقدمة

[1]– خليف: يوسف: مقدمة القصيدة في الجاهلية، مجلة المجلة: عدد فبراير 1965: 21

[2]– ابن قتيبة: عبد الله بن عبد المجيد: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة: ج1: 75، 76

[3]– براونة: فالتر: الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة السورية: عدد 4، السنة الثانية، حزيران 1963: 157.

[4]– براونة: فالتر: الوجودية في الجاهلية، م س: 157.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

لوصفه؟ مع أنه متأكد أن وصف البداوة يعجب أصحاب الحي"[1].

لست أتقصّدُ في هذا المقال التعرّض إلى آراء النقاد القدامى وتفسيراتهم للظاهرة الطللية، ولذلك اكتفيت فقط بالإشارة التاريخية لهذا التفسير واختزلته في العبارة المشهورة لابن قتيبة و لم أعتمد طيلة دراستي للظاهرة الطللية عند الأندلسيين على الآراء التقليدية القديمة منها. غاية الأمر أني انطلقت من المفهوم التقليدي ممثلا في قول ابن قتيبة وسرعان ما اتجهت إلى المفاهيم الحداثية في تفسير الظاهرة. مستفيدا من كتابات وآراء النقاد المعاصرين مثل: كمال أبو ديب وحسين عطوان ويوسف خليف ومي خليف وكاميليا عبد الفتاح وأدونيس ويوسف عليمات ومحمود الجادر في التفسير الثقافي للظاهرة الطللية. فَحين أتحدث مثلا عن توظيف الشعراء للناقة عند الوقوف بالطلل لا أعتمدها كعرف جرى عليه الشعراء منذ الجاهلية الموغلة في القدم وكامتداد للثقافة العربية المنطلقة من الصحراء حيث تمثل الناقة وسيلة السفر ورفيقة درب الشاعر في رحلاته الطويلة أو القصيرة. بل أوظفها كمشروع ثقافي رامز إلى مقاومة التحلل والموت والاندثار المتبدِّية في الخرائب والرسوم الدارسة وانتزاعا للوجود الإنساني الآيل للسقوط وإعادة ابتعاث الحياة والازدهار من جديد بتوظيف عوامل البقاء والقوة والصلابة متجسدة في الناقة في مرموزيتها الثقافية والفلسفية.

كما أنه ليس من هدفي في هذا البحث تفسير الظاهرة الطللية تفسيرا "نفسيا" بالاعتماد على مقررات مدارس التحليل النفسي بأن نبحث في الظروف النفسية التي حملت الشاعر على قول القصيدة، كما حاول الأستاذ عبد القادر فيدوح في كتابه "الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي"، القائم على استنطاق النص في "علاقاته السياقية

[1]– براونة: فالتر: الوجودية في الجاهلية، م س: 157.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

المشروطة التي يحددها الأسلوب السيكلوجي"[1]، أو كما فعل حفني محمود في كتابه "مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية"، الذي يقرر "أن بداية الطريق محاولة معرفة الظروف والملابسات المحيطة بالشاعر لنحاول أيضا أن نعرف كيف كانت نفسية الشاعر حين قال القصيدة فإذا وفقنا في ذلك فسوف نجد نفسية الشاعر واضحة في عنصر المطلع ..."[2]. وقوله بعد أن استغرق صفحتين أو ثلاث من كتابه للحديث عن حياة النابغة ونشأته وبيئته: "وإذن فمصدر جودة مطلع النابغة ليس في التخيل أو التفنن في الصناعة، وإنما في وضوح نفسية الشاعر ومشاعره من خلال وضوح التعبير وصدق المعاني"[3]. هذا دون أن أنفي استفادتي بطبيعة الحال من آليات المنهج النفسي التي تأتي "ضمنا" من خلال قراءة النصوص وتحليلها واستنطاقها وكشف مضمراتها وأنساقها. وربط الظاهرة الطللية بقضايا الوجود التي تشكل هاجس الشعراء كالفناء والموت والخير والشر واليأس والتشاؤم والشكوى والخوف والقلق والنظرة العدمية للوجود والحياة والرغبة في استعادة الماضي المطمور في الدمن والرسوم، وما يندرج في فضاء القصيدة أو الأبيات الطللية من توتر دائم بين عناصر متعارضة أبرزها: الكينونة والتلاشي، الموت والحياة، المتعة والألم، الخصب والجدب، الفناء والخلود...

فالقراءة النسقية تحاول قراءة النصوص الأدبية في ضوء مضمراتها الفكرية والفلسفية والحضارية والثقافية، حيث تتضمن النصوص "في بناها العميقة أنساقا مضمرة

[1]– ينظر: فيدوح: عبد القادر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن: ص 9 وما بعدها.

[2]– ينظر: حفني: محمود: مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 92

[3]– حفني: محمود: مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، م س: 95

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

ومخاتلة قادرة على التمنع ولا يمكن كشف دلالاتها النامية في المنجز الأدبي إلا بإنجاز تصور كلّي حول طبيعة البنى الثقافية للمجتمع"[1]. ذلك أن النقد النسقي "يصطفي النسق بوصفه عنصرا مركزيا في الحضارة والمعرفة والثقافة والسياسة والمجتمع، إذ يتسم النسق من حيث هو نظام بالمخاتلة واستثمار الجمالي والمجازي ليمرر جدلياته ومضمراته التي لا تنكشف إلا بالقراءة الفاحصة"[2].

لقد ترجم الوقوف بالطلل عند الشاعر الأندلسي قدرته على التخلص من إسار المحددات الفكرية والمعرفية المشرقية. فالوقوف بالطلل في الشعر الأندلسي تحول من مجرد عنصر جمالي غرضيّ في تشكيل القصيدة الأندلسية إلى نسق ثقافي فاعل. هذا على الرغم من أن بعض الباحثين يؤكدون على أن "استقرار تقاليد البناء الفني الموروث لا ينقطع بأية حال عن الأرضية الثقافية الدينية والمتولوجية التي توارثتها أجيال الأمة من مراحل موغلة في القدم..."[3].

لقد انتقل الطلل من الطبيعة الصماء ومن الانتماء إلى البيئة المبذولة للعيان إلى الثقافة التي اقتلعته من أداتيته وزرعته في مقدمات النصوص رمزا كثيفا مشبعا بحمولة ثقافية وفلسفية ومعرفية وحضارية. فلفظة الطلل التي "كفت عن الإحالة على مرجعيات دلالية مباشرة حاضرة في البيئة العربية لتتحول إلى ظاهرة يمكن ملاحظتها وتلمس قدرتها على الإنباء عن الوعي العربي المسكون ببعث الطلل وزرع الحياة في مظاهره الخربة

[1]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2015: 21

[2]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 9

[3]– الجادر: محمود عبد الله: عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام، مجلة المجمع العملي العراقي، المجلد 33، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، نيسان 1982: 241

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

وشحنه بالأسئلة"[1].

إن وقوف الشاعر الأندلسي على الأطلال لم يكن محض تعلق بتلك النؤي والأوتاد والأثافي والدمن والآثار بقدر ما هو "تعبير عن توترات كانت تقوم في نفسه بين الماضي والحاضر، بين التآلف الجمعي والتفرق، بين الاستقرار أو الرحيل، بين المكان واللامكان، بين الوجود الإنساني واللاوجود"[2].

لقد مثلت الأطلال عند الشاعر الأندلسي أكثر من رمز شعري، إنها الرموز المتجددة في ذهن الشاعر "والتي تعبر عن ارتباطات شتى ومكونات عديدة وتصورات مختلفة ذهنية وعقلية ونفسية واجتماعية، ترتد جميعا إلى عالم الذكريات"[3].

أولا: الطلل ودلالة الموت والاندثار:

منذ الوهلة الأولى يبدو الوقوف بالطلل عند الأندلسيين غير مسكون بهاجس الخصب والنماء الطبيعي حيث تسيطر أجواء القحط والجفاف والتوجس الدائم من تهديد الموت بسبب فقدان الماء وعوامل الحياة، بل هناك خوف من ذهاب الجماعة واندثار الشمل والملكِ وخرابِ الحضارة وتحول السلطة. إنها هواجس من نوع آخر لم نعهدها في الظاهرة الطللية في الشعر العربي القديم –على الأقل في صورته الجاهلية– فلم يعد الطلل "شارة بارزة من حجارة، و نؤي، و أثافي، وإنما صار الطلل في أغوار النفس شقوقا

[1]– خميسي: آدم، المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية وصدر الإسلام، دراسة في النسق الثقافي، دكتوراه، جامعة باتنة، 2017: 33

[2]– يحيى: زكي : رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الإسلام، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العراق، العدد 7، 2011،: 4

[3]– يحيى: زكي : رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الإسلام، م س: 4

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

وأخاديد يحتفرها سيل الدهر احتفارا "[1].

يقف ابن الأبار أمام دياره وقد خمدت الحياة فيها وسكنها الصمت وعمّها الخراب بعد أن كانت عامرة بالحركة وبضجة الحياة، فإذا كل شيء يحيل إلى الفناء والموت والعفاء "حيث تمثل الطلول عالما منقطعا، متناقضا، لا تنامي فيه ولا حيوية، عالما من النفي والامّحاء والعفاء"[2]. وتحت وطأة الاغتراب يعود إلى الماضي حيث المكان "جنة" وحيث الحدائق الغناء والأردية الفاخرة والجلسات الحميمية، فالمكان –الطلل– يجسد تجربة الشعور بتولي الأشياء ونزوحها وتغيرها:

لِجيرةٍ أصبحُوا أيدِي سَبَا شِيَعا هذا وما عرَّسوا في عُرصةِ اليَمنِ
وجنةٍ حلَّ أهلُ النارِ ساحتَها لم يُغنِ حَملُ القَنَا عنهَا ولا الجُنَنِ
أيّامَ نَسحبُ أبرادًا وأردِيةً من العفافِ مَصوناتٍ عن الدَّرَنِ[3]

لقد مثل الوقوف على أطلال البيوت الدارسة والتفرس فيها خوف الشاعر واغترابه، فهو "مغترب في زحام واقع كئيب لا يرضى عنه، وعبر ماض لا يستجيب لندائه ولا يمكن أن يعود إليه"[4]، فهو يدرك ذهاب الحياة وانسيابها من بين يديه دون أن

[1]– مؤنسي: حبيب: فلسفة المكان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001: 20

[2]– أبو ديب: كمال: جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنوية في الشعر)، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984: 195

[3]– ابن الأبار: محمد بن أبي بكر: ديوان ابن الأبار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1999: 337

المقطّعة من بحر البسيط. عرسوا: أي نزلوا آخر الليل للاستراحة. الجنن: جمع جنة وهو ما وقى أو ستر من السلاح

[4]– خليف: مي: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، 1990: 51

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

يقوى على استبقائها ولو للحظة، فلا يجد ملاذا إلا الاتّكاء على الذاكرة، فعن طريقها "يستطيع الإنسان أن يعيش الأمس بكل ما احتواه من حياة خصبة دفاقة وكأنها الحاضر المعيش"[1]. فالطلل "يمثل الإنسان وليس المترل الدارس أو الديار المتهدمة"[2]، ومن هنا ينتصب الطلل "كمعادل فني لتناهي الإنسان واندثاره وتحلله... الطلل هو الرسم هو الاندثار والأثافي والدمن التي تبدو كشواهد القبور تحوطها رياح تعزف لحن الموت"[3]. فالطلل يحيل إلى الموت والاندثار لارتباطه بالقفر والفراغ بعدما كان مرتبطا بالدفء والألفة وهو ما يحيل في النهاية إلى مشهد من مشاهد التهدم النفسي[4].

ويصف المعتمد بن عباد مشهد خراب إشبيلية بعد أن حلها الموت "الحمام" وسكنها الخراب والعفاء، "لقد شخص الشاعر الفراق وجعله قاتلا لأنه أخذ أحبابه منه وأبعدهم عنه وأعمل القتل في المكان، ودليل ذلك هذه الآثار الباقية من جهد الإنسان وحياته، فهو يعبق برائحة الموت تنبعث من كل جانب منه"[5] يقول:

قَضى اللهُ في حِمصَ الحِمَام وبُعثِرَت هنالكَ مِنَّا للنُّشُورِ قبورُ[6]

[1]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003: 220

[2]– عبد الفتاح: كاميليا: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008: 217

[3]– عبد الفتاح: كاميليا: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، م س: 52

[4]– فيدوح: عبد القادر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، م س: 268

[5]– نصير: أمل طاهر: الانكسار في شعر المتنبي (مقاربة نصية)، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيو 2006: 26

[6]– المعتمد: محمد بن عباد: ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق: حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 2000: 99

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

فالطلل يلوح رمزا للفناء وإيذانا بخراب زمن الشاعر وتحلل حياته "لقد دمر الزمن كل أثر للحياة في هذه الربوع، بعد أن أخذ صفة القوة الغامضة التي تسيطر على الأشياء وتتحكم فيها.. حتى لم يبق في النهاية سوى هذه الشواهد الحجرية الصماء يلوذ بها الشاعر بعد غربته التي لا تنتهي على طريق الحياة"[1].

فالصمت مطبق في كل مكان ورائحة الموت تتصاعد بين الأبنية والبيوت والردهات، والأزقةُ مغمورة بالخوف والوحشة. وكأننا أمام مشهد من مشاهد القيامة المرعبة بما يجسد "صراع الانسان مع الوجود ومغالبة الزمن الذي يسير نحو النهاية"[2].

فالشاعر يقف مصدوما –مستشعرا ضعفه أمام قوة الطبيعة– إزاء الفاجعة التي ألمت بمملكته التي كانت تضج بالحياة والحركة وقد تحولت إلى خرائب موحشة يجثم الموت والفناء في كل زواياها "فالديار التي حفلت بالحيوية تقبع الآن مدمرة خربة"[3].

وفي "مرثية قرطبة" يقف ابن شهيد مذهولا من فرط الصدمة التي أصابته إزاء مشهد دياره التي كانت تضج بالحياة وقد تحولت إلى آكام وخرائب ينعق فيها البوم وترجع أطلالُها أصواتَ الوحوش "وهنا تأخذ الأطلال منعطفا نفسيا يظل يعكس المزيد من الحيرة والقلق ويحكي كما هائلا من آلام الشاعر ويصور لوحة من لوحات حنينه إلى ذلك الماضي البعيد"[4]:

البيت من بحر الوافر

[1]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، م س: 211

[2]– بوبعيو: بوجمعة: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، م س: 44

[3]– أبو ديب: كمال: جدلية الخفاء والتجلي، م س: 30

[4]– خليف: مي: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، م س: 87

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

مَا في الطُّلُول منَ الأحِبّةِ مُخبِرُ فمنِ الذي عَن حالها نستَخبِرُ[1]
لا تسألَنَّ سِوى الفِراقِ فإنهُ يُنبيك عَنهُمُ أنَجدوا أم أَغوَرُوا[2]
جارَ الزمانُ عليهمُ فتفرّقوا في كلِّ ناحيةٍ وبادَ الأكثرُ
فَلِمثلِ قرطبةٍ يَقِلُّ بكاءُ مَن يبكي بعينٍ دمعُها متفجّرُ

فالوقوف على البيوت وهي تقبع مدمّرة خربة ومحاورة الطلل "هو تعبير عن تطامن الإنسان وانكساره أمام الزمن حيث الطلل أحد تحولاته المهمة، فالزمان هو المسؤول عن فراق الأحبة، ولما كان الإنسان غير قادر على فعل شيء يمنع الدهر من تسلطه وجبروته وسلبه أحبابه لم يبق له سوى الوقوف على أطلالهم وفاء لذكراهم وتذكرا لأيامه الخوالي معهم، مخرجا ما يعتمل في نفسه من هم وشجن، يبكيهم ويبكي نفسه من خلال بكاء أطلالهم، وقد أخذ هذا البكاء شكل الطقوس الجماعية"[3].

ولكن البيوت من الضعف والهزال بحيث لا تستطيع أن تجيب عن الأسئلة الكثيرة للشاعر المثقل بالهموم والجراحات. فهو يشعر بافتقار شديد لتضامن تلك الجماعة التي "تتميز بروابط أولية وتضامن آلي والتي تملك دورا هاما في وقاية الفرد من الاغتراب"[4]. فهو أمام تلك الدمن التي كانت تموج بالحياة والحركة "يصدمه الإحساس بالفناء

[1]– ابن شهيد: أحمد بن عبد الملك: ديوان ابن شهيد، تحقيق: يعقوب زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ت: 109
القصيدة من بحر الكامل

[2]– أنجدوا: النجد ما ارتفع أو أشرف على الأرض. أغوروا: غور كل شيء أي عمقه ويقال غور تهامة: أي ما بين ذات عرق إلى البحر.

[3]– نصير: أمل طاهر: الانكسار في شعر المتنبي: م س: 20

[4]– إسكندر: نبيل: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988: 214

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

والضياع ويدرك كم هو وحيد في هذا الكون وغريب مطارد من قوى خفية لا يدرك كيف يواجهها"[1].

إن الحيرة لتعلو الشاعر وتسيطر على كيانه وهو يقف أمام أطلال العشيرة. لقد شخّص الفراقَ "وجعله قاتلا لأنه أخذ أحبابه منه وأبعدهم عنه وأعمل القتل في المكان، ودليل ذلك هذه الآثار الباقية من جهد الإنسان وحياته، فهو يعبق برائحة الموت"[2]. إن الشاعر هنا وأمام مرأى الأطلال الجامدة يجد نفسه مضطرا إلى أن يسأل ويجيب في نفس الوقت من خلال الوقوف والتفرس في المشهد المؤلم، ذلك التفرس والتأمل جسد حقيقة خوفه واغترابه.

فتلك الديار المحطمة المفرغة من كل مظاهر الحياة والتي تشرد أهلها بفعل عوادي الزمن، وتناثروا شظايا في كل النواحي والبلدان بعد أن جار عليهم الزمن وبعثرهم ومزق شملهم وسكينتهم، فالبون شاسع بين "ماضي الديار الزاهر وحاضرها الكئيب.. غدت بعد الفراق ناحلة وكأنها إنسان يضمر ويضعف"[3] يقول:

دارٌ أقالَ الله عثرةَ أهلِها فتَبربرُوا وتغرَّبوا وتمصَّروا
في كل ناحيةٍ فريقٌ منهمُ متفطِّرٌ لفراقها متحيِّر[4]

ويقول:

[1]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي: م س: 189

[2]– نصير: أمل طاهر: الانكسار في شعر المتنبي: م س: ص26

[3]– طنوس: وهيب: الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ط1، 1976: 218

[4]– ابن شهيد: أحمد بن عبد الملك: ديوان ابن شهيد: م س: 110
القصيدة من الكامل

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

عَهدِي بها والشّملُ فيها جامعٌ مِن أهلها والعيشُ فيها أخضَرُ[1]
ورياح زَهرتِها تلوحُ عليهمُ بروائحَ يفترُّ منها العنبرُ
والقومُ قد أمِنوا تغيُّر حسنِها فتعمّموا بجمالها وتأزَّروا
يا طِيبَهُم بقصورها وخُدورِها وبُدورُها بقصورها تتخدَّرُ
والقصرُ قصر بني أميةَ وافرٌ من كلّ أمرٍ والخلافةُ أوفرُ
والزاهريةُ بالمَراكبِ تُزهِرُ والعامريةُ بالكواكبِ تُعمَرُ
والجامع الأعلى يَغُصُّ بكلِّ مَن يتلو ويَسمعُ ما يشاء وينظرُ
يا جنةً عصفت بها وبأهلها ريحُ النَّوى فتدمَّرت وتدمَّروا

فالوقوف بالطلل والاستحضار الدائم لمشهد الخراب والاندثار يمثل استدعاء متكررا للفناء والموت والتحول الإنساني، وكأن الشاعر يصر على الحالة الرومانسية الحزينة والمنهارة والمستسلمة أمام الحياة والمجتمع أو نزعة العدمية الوجودية التي تفرغ الوجود من الخير والجمال والتفاؤل. يقول أبو ديب: "بعض الشراح الأفذاذ قديما، تتبدى الصورة غنية لأن القول بأن الأطلال لم تعف معناه أن الشاعر إنما يصور قوتها الأبدية ليثير الحنين والحزن والبكاء. وتظل الأطلال هناك نضرة وجديدة، تشحذ حيوية الذكرى وتخلق توترا متزايدا"[2].

يقول ابن جودي:

[1]– ابن شهيد: أحمد بن عبد الملك: ديوان ابن شهيد، م س: 110
القصيدة من الكامل. تتخدّر: الخدر: الستر. ويقال تخدرت المرأة أي لزمت خدرها.
[2]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986: 129

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

حننتُ إلى البرقِ اليَماني وإنما نعالجُ شوقا ما هنالكَ هانيا[1]
لياليا بالجِزع جزعِ محجّرٍ سقى الله يا فيحاءُ تلك الليالي
وما ضرَّ صَحبي وقفةٌ بمحجّرٍ أحيّي بها تلك الرسومَ البواليا

فالشاعر يقف وقفة تخيلية على أطلال الديار البعيدة ويستوقف أصحابه معه في مشهد تخيلي مفعم بالأسى والحزن والحنين المعذب. ويوظف الشاعر جملة من الأسماء المحيلة على السكون والتجمد والموت وانقطاع الحياة "محجّر –وقفة" ليضفي على المشهد مزيدا من الخراب والعفاء والعدم.

ويقف الشاعر ابن اللبانة على البيوت المقفرة من ساكنيها وقد نسج عليها العنكبوت وصارت مرابض للوحوش والطيور الهائمة، يقول:

وكُنّا رَعَينا العِزَّ حَولَ حِماهمُ فقد أجدبَ المرعَى وقَد أقفَرَ الحِمَى[2]
قُصُورٌ خلت مِن ساكنيها فَمَا بِهَا سوى الأُدُمِ تمشي حَولَ واقفةِ الدُّمى
يجيبُ بها الهَامُ الصّدى ولطالما أجاب القِيانُ الطائرَ المترنما
كأن لم يكُن فيها أنيسٌ ولا التقى بِهَا الوفدُ جمعاً والخميسُ عرَمرَما

لقد تحول المكان بسبب الكارثة والتصفية إلى الموت والعدم، "إن الأثر الذي يتركه الإنسان خلفه بعد انتصار الطلل عليه كالأثافي والنؤي، يكشف تحول الجهد الذي

[1]– ابن خاقان: الفتح بن محمد: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983: 361
المقطعة من بحر الطويل. الجِزع: المكان الملتف الشجر. محجّر: أي مرصوف بالحجارة

[2]– ابن اللبانة : محمد بن عيسى: ديوان ابن البانة، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان، ط2، 2008: 124
القصيدة من بحر الطويل. الأدم: من الظباء البيض. الهام: البوم

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

بذله الإنسان قصد تشكيل حضارة المكان إلى ضياع ورماد تذروه الرياح"[1].

إن الماضي يلوح كما لو كان حلما أو خدعة كبرى أو أنه لم يوجد أصلا. واستخدام أدوات النفي والتشكيك "كأن لم –لا" التي تتكرر في الأبيات تثير حالة الشك والعدم على المرحلة الماضية التي يتوهم الشاعر أنها لم تكن موجودة أصلا. فهو يشكك في حواسه بل في ذاكرته التي ربما ترهلت مع الزمن ومع التغيرات الكثيرة التي لا يجد لها تفسيرا، فهو أمام تلك الأطلال التي كانت تموج بالحركة والحياة "يصدمه الإحساس بالفناء والضياع"[2].

ويصف المعتمد كيف تحولت دياره (إشبيلية) التي كانت تضج بالحياة زمن كان ملكا عليها إلى أطلال مخربة أشبه بالقبور. يقول واصفا مشهد خراب إشبيلية:

قَضى اللهُ في حِمصَ الحِمام وبُعثِرَت هنالك منّا للنشور قبورُ[3]

إنه "اختبار القضاء والفناء والتناهي.. فالحياة تفنى تحت جبر القضاء وظلم المنية، الموت قريب تحت صروف الدهر العاتي، وما أرهب الحياة. إن وجود الإنسان تخيم عليه تجربة التناهي المحقق، فهل ستكون حياته مثل الديار تطفح بالحركة والحياة يوم أن يكون أهلها في ربوعها، ثم تتحول إلى قفار موحشة يخيم عليها السكون والموت"[4]. إن مشهد التحول، الحضارة/الرسوم، إلى التوحش/الطلل يبعث التفجع والألم في قلب الشاعر "لأنه يرى الجهد الإنساني يتحول إلى ضياع ودمار، ولأن حضور الإنسان الحقيقي في المكان

[1]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي نموذجا"، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2004: 143

[2]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي: م س: 189

[3]– المعتمد: محمد بن عباد: ديوان المعتمد بن عباد، م س: 99

[4]– عطوان: حسين: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1970: 217

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

يتحول إلى غياب مفاجيء وطيف وهمي، وعفاء شمولي للأمكنة التي حلها الإنسان"[1].

وحين يتذكر "ابن لبون" دياره التي أقفرت من الصحب والخلان الذين عصف بهم الزمن فشردهم وأباد وجودهم وأحال ديارهم إلى أطلال وآكام دارسة، تسيطر الحيرة على كيانه وتغمره الحسرة والأسى وهو يناشد أصحابه ليعرجوا معه على دياره ويستوقفهم على مشهد الخراب الذي حل بها.

إن هذه الأبيات تعد مؤشرا قويا على الواقع الأليم للشاعر "باعتبار ما فيها من تصوير لانتصار الفناء على الحياة، ذلك أن الطلل هنا يظل واحدا من رموز الانهيار البشري"[2].

يقول:

خَليلَيَّ عُوجَا بي على مَسقَطِ اللِّوى لعلّ رُسومَ الدارِ أن تتغيَّرا[3]
فأسألَ عن ليلٍ تَولَّى بأُنسِنا وأندبَ أياما تقضَّت وأعصُرا

فالشاعر يظهر محبطا ومحاصرا من الزمن الحاضر الذي ألحق به خسارات فادحة، إذ تنتاب الشاعر حالة من الحزن والمأساوية، إذ يتحقق من الذين غادروا لزمن طويل "وأن الديار التي حفلت بالحيوية تقبع الآن مدمرة خربة"[4]. فالطلل يحيل على معاني الموت

[1]– عطوان: حسين: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي م س: 245

[2]– خليف: مي: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات: م س: 85

[3]– ابن خاقان: الفتح بن محمد: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1989: 294

الأبيات من بحر الطويل. عوجا: عاج على الشيء أي مر به. اللوى: ما التوى من الرمل أو منقطَع الرمل

[4]– أبو ديب: كمال: جدلية الخفاء والتجلي: م س : 30

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

والتحول "التحول الذي يسكن الموجودات، فيزحزحها عن أحوالها التي كانت لها من قبل، ويتدرج بها من الجدة إلى البلى، ومن العمران إلى الخراب، ومن الحياة إلى الموت"[1]، وتؤدي الأفعال (تتغير –أسأل –تولّى –أندب –تقضّت) دورا وظيفيا "في التدليل على الأثر المأساوي الذي تركته الصورة المفارقة في نفسية الشاعر، حيث يرتبط معنى الوحشة بحالة الرعب الذي يستشعره الإنسان في اللحظة الطللية"[2].

إن محاولة الوقوف على الطلل الذي بلي وأحاط به الخراب هو رمز لانتصار الفناء والموت واندحار الحياة وانهزامها، فبكاء الأطلال يمثل "لحظة الوعي بغريزة الموت التي تدب في أوصال الحياة بصمت، ففيها تتجلى معاينة التخريب الذي حل بالكون والإنسان"[3]، ولكن الطلل نفسه بات من الضعف والهزال بحيث لا يستطيع إرجاع الجواب أو محاورة الشاعر المنكوب بزمنه، لذلك يعم الفضاء صمت هائل وتتسرب رائحة الموت والفناء والتحلل، فالرياح التي توشم الأطلال تشي بالرقة والبهرج والزينة المخاتلة الخادعة، فالطلل إلى زوال مهما بلغ من إتقان الوشي فيه وكذلك الحياة الإنسانية المغترة ببهرجها وغناها وأبهتها.

يقول ابن اللبانة:

تبكي السماءُ بُمزنٍ رائحٍ غادي ... على البَهاليلِ مِن أبناءِ عَبّادِ[4]

على الجبال التي هُدَّت قواعدُها ... وكانتِ الأرضُ منهُم ذاتُ أوتادِ

[1]– مؤنسي: حبيب: فلسفة المكان: م س: 28

[2]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي نموذجا): م س: 273

[3]– عقاق: قادة: دلالة المكان في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001: 165

[4]– ابن اللبانة: محمد بن عيسى: ديوان ابن اللبانة، م س: 56. الأبيات من بحر البسيط. البهاليل: جمع بهلول وهو السيد الشريف في قومه.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

والرابياتُ عليها اليانعاتُ ذَوَت أنوارُها فغدَت في خَفضِ أوهادِ
وكعبةٍ كانتِ الآمالُ تعمُرُها فاليومَ لا عاكفٌ فيها ولا بادِ

وكأن عالم الجماد يضمحلّ ويضمر ومظاهر الجمال تذوي لفقد مليكه "فالأشياء التي تعامل بهذا الحب تتخلق في ضوء حميم، وهي بهذا تحقق درجة من الواقعية أعلى من تلك التي تحققها الأشياء المحايدة"[1]. فالقصيدة تؤشّر على واقع نفسي كئيب ومؤلم "باعتبار ما فيها من تصوير لانتصار الموت على الحياة، ذلك أن الطلل هنا يظل واحدا من رموز الانهيار البشري"[2]، ويكشف في الوقت ذاته لا عن تغير الزمن وصيرورته فحسب بل عن تغير الإنسان وعدم ثباته على حال[3]. فالزمان قد غدر بالجميع في نهاية المطاف ولم يبق من واقع الشاعر "إلا هذا التوجع الصريح. بل ربما توجعت الديار أيضا بنفس الدرجة ولكنها بدت عاجزة عن الإجابة"[4].

ثانيا: الطلل وتثوير عوامل البقاء والصلابة (الأنسنة –توظيف الرموز – الحلم –استحضار الماضي):

حاول الشعراء الأندلسيون مقاومة عوامل الفناء والاندثار المتجلية في الطلل الدارس من خلال تثوير عوامل البقاء والمقاومة وتوظيف أدوات القوة والصلابة. لتنطلق قصائدهم في حركة مضادة لحركة الزمن المدمرة المتجسدة في خرائب البيوت والرسوم الدارسة والدار المهجورة والشمل المتفرق.

[1]– باشلار: غاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984: م س: 83
[2]– خليف: مي: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات: م س: 85
[3]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي: م س: 190
[4]– خليف: مي: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات: م س: 86

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

1– الأنسنة:

–أنسنة الجماد: السماء والجبال والبيوت:

يؤنسن الشاعر ابن اللبانة الجمادات(السماء –الجبال) ويحمّلها هموم الحزن على فقد المعتمد بن عباد، وكأن العمران أفرغ من العنصر البشري أو كأن الجمادات انخرطت في مأتم كوني حزنا على ما حل بهـــا، فرفعها الشاعر إلى مستواه فاتخذ منها صديقة مصاحبة، وكأنها إنسان يتقاسمه المشاعر ويشاطره الهموم، فأضفى عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء، فناجاها وسمع إلى شكواها، وعبّر عنها، وكأنّه لسانها ووجدانها. فالأنسنة تأتي لتؤكد على أهمية الحضور الإنساني في سياق النهوض وعملية الإحياء والانبعاث من رقدة الفناء التي أورثها مشهد الطللية.

يقول:

تبكي السماءُ بُمزنٍ رائحٍ غادي ... على البَهاليلِ من أبناءِ عبَّادِ[1]

على الجبال التي هُدَّت قواعدُها ... وكانتِ الأرضُ منهم ذاتُ أوتادِ

والرابياتُ عليها اليانعاتُ ذَوَت ... أنوارُها فغَدَت في خَفضِ أَوهادِ

ويقول المعتمد:

بكى المبارك في إثر ابنِ عَبّادِ ... بكى على إثر غزلانٍ وآسادِ[2]

بكت ثُرَيّاهُ لا غُمَّت كواكبُها ... بمثلِ نَوءِ الثُّريا الرائحِ الغادِ

بكى الوحيدُ، بكى الزّاهي وقُبَّتُه ... والنهرُ والتاج، كلٌّ ذُلُّه بادي

[1]– ابن اللبانة: محمد بن عيسى: ديوان ابن اللبانة، م س: 56

[2]– المعتمد: محمد بن عباد: ديوان المعتمد بن عباد، م س: 95

القصيدة من بحر البسيط. المبارك والوحيد والثريا والزاهي: أسماء قصور للمعتمد. آساد: جمع أسد

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

يمثّل المطر فعلا تطهيريا ومقدسا بحيث يخلّص الواقع الإنساني من دنس الطللية ويلفظ الدنس والقذارة من بنية النص ويؤسس واقعا يفيض بالفرح والتدفق والحياة في مقابل رواسب الطللية: الخوف والموت والاندثار والعفاء الماحق. كما أن هذا الطوفان البكائي يبرهن والحالة هذه "أن المائية عامل فعال من أجل انبعاث الرؤى والتصورات الإنسانية (الحنين إلى سلطة الماضي)"[1].

إن الشاعر يظهر وكأنه واقع في غيبوبة أو تحت تأثير صدمة كبيرة. فهو مازال لم يفق من ماضيه بعد حيث قصوره وضياعه وأملاكه التي كساها الحزن والألم، فلم تقدر على أن تأنس بغير صاحبها، فهي في حالة حزن دائم وألم ممض لفقد مالكها الأصلي.

فالشاعر يحشد الأشياء الجامدة والأماكن، فيحاول إنعاش ذاكرته ونفض الغبار عن صفحاتها بذكر أسماء الأماكن والمعالم والأشياء المخزنة في الذاكرة البعيدة لأن "الزمن يصعب اقتناصه وفهمه وتصوره، ومن ثم فإن العلامات السيميوطيقية الخاصة بالزمن تتآلف دائما مع علامات مكانية"[2]، ولا شك أن "أصعب الذكريات المتجاوزة لأية هندسة يمكن رسمها، هو محاولتنا أن نستعيد نوعية الضوء، ثم يلي ذلك الروائح التي تتلبث في الحجرات الفارغة واضعة ختما أثيريا على كل حجرة من حجرات بيت الذاكرة"[3]، فالشعراء وحدهم هم القادرون على إمدادنا بوثائق ذات طبيعة نفسية دقيقة[4].

إن الأشياء هنا تتحول إلى كائنات حية تنبض بالحياة والدفء والأحاسيس الدفاقة، وهي لذلك تخلق واقعا وجوديا جديدا "فالشاعر يوقظ هذه الموجودات –التي

[1]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 41

[2]– قاسم: سيزا: القارىء والنص (العلامة والدلالة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002: 93

[3]– باشلار: غاستون، جماليات المكان: م س: 77

[4]– باشلار: غاستون، جماليات المكان م س: 77

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

تلوح جامدة بلا حركة- من نومها"[1]. ويجب أن نذكر هنا أن المكان يتشظى في رؤية الشاعر إلى مكانين: المكان الأول هو المكان المرتبط بانبجاس الحياة وقيام المجتمع واستقراره، وهو مكان متصل بالسعادة الإنسانية وتجلّي حالة الخصب واخضرار الحياة، نستشف ذلك من المفردات "المبارك –ثرياه –قبته –النهر –التاج" وأما المكان الثاني فهو "آني المشهد ورامز أيضا إلى التهدم الحضاري والتحول من عالم الحياة إلى عالم الموت"[2].

إن الشاعر يبدو كمن يرفض حاضره ولا يريد مبارحة الماضي محاولا تجاوز الاغتراب المتجلي في الغياب والفقد. والملاحظ هو طغيان الفعل الماضي "بكى" على النص ليأتي تأكيدا على "فاعلية البطل وعظمة البطولة عن طريق تقديم شاهد يسرد حدثا جزئيا تتجلى فيه البطولة في واقعة تاريخية لا مجال لنكرانها"[3].

إن وصف المعتمد لقصوره لم يكن وصفا تقليديا خارجيا جامدا لا حسّ فيه ولا حياة بل هو وصف لكائنات تحسّ وتشعر وتبكي وتتأسى وتزخر بالحياة وبالأحاسيس النّابضة الدفاقة، "وأية صورة للوجود المكثف تقدم لنا بهذا البيت الذي "يتشبث" بساكنه ويصبح الرحم للجسد بجدرانه التي تتقارب"[4]، لقد "حمل الشاعر المكان دلالات نفسية ووجدانية، فلم يكن حديثه عن الديار والمنازل مجرد تجسيد لها أو تصوير للواقع المادي، وإنما كان تجسيدا للأحلام والذكريات والآمال والطموحات"[5]. فمن خلال العودة إلى

[1]– باشلار: غاستون، جماليات المكان م س: 83

[2]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي: م س: 135

[3]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة: م س: ص 561

[4]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س: 67

[5]– قباجة: محمد عبد المنعم: الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني، ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2008: 37

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

البيوت الماضية يحاول الاحتفاظ بالديكور المسرحي محتويا الأشخاص في أدوارها الرئيسية[1].

لقد اعتنى الشاعر برموز الحياة الروحية والنفسية حين تناول المكان بالوصف المباشر وأكد باستمرار على أسماء المواقع الحية أو المندثرة "معبرا عن الانتماء والتشبث.. وكأن هذا الذكر المتواصل سيكون بمثابة معاهدة للحفاظ على وجود المكان رغم سرقته واستلابه"[2]، فهو يتجاوز الإطار الهندسي والشكل المادي إلى الصورة التي ترمز إلى القوة والعظمة الغابرة البعيدة.

2–توظيف الرموز:

أ–توظيف الرمز الحيواني/الناقة:

يقول ابن حزم:

أَجَل هو رَبعٌ قد عفتهُ الرّوامسُ فهل أنتَ فيه وَيبَ غَيرِكَ حابسُ[3]
لعلّ له أن تحبِسَ العيسَ ساعةً عليهِ فتُبكيكَ الرسومُ الطوامسُ
عسى يستجيبُ الرَّبعُ إذ أنا سائلٌ وهل تُرجِعُ اللفظَ الطلولُ الدَّوارسُ
فعجتُ عليه ناقتي وهو سَبسَبٌ سقتهُ وجادَتهُ الغَمام الرّواجسُ

[1]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س: 39

[2]– عبد ربه: ليانة عبد الرحيم: المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش، ماجستير، جامعة بير زيت، 2012: 94

[3]– ابن حزم: علي بن أحمد: ديوان ابن حزم: تحقيق: صبحي رشاد عبد الدايم، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1990: 64

القصيدة من بحر الطويل. عفته: محت معالمه. الروامس: الرياح. ويب: وهي كلمة مثل ويل. الطوامس: التي محيت معالمها. السبسب: الأرض القفر البعيدة. الرواجس: الراعدة رعدا شديدا.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

تندرج فكرة الطلل تحت إطار الموت، فالنص يجسد الحالة النفسية والوجودية للمخاطِب للطّلل محيلا على حالة من الملل والشكوى والتأزم والتمزق والإحباط والحسرة. كما تحيل صيغة الاستفهام "هل" المتكررة وجواب الشاعر عن أسئلته للطلل إلى حالة العجز التام للديار الخربة وحالة التيه والإحساس بالعزلة التي تسيطر على الشاعر، فصيغ الاستفهام توحي بالتوتر والقلق والحيرة والضياع. فابن حزم يوظف السؤال "ليثبت قلقه الوجودي ويظهر انفعاله النفسي تجاه التغيرات الحادثة على المستويين الإنساني والمكاني"[1]. فالدمار الذي أصاب المكان يحدث حالة ارتباك لدى الشاعر وانعدام رؤية يدفعه إلى التساؤل الملحّ. ثم تأتي الدموع في المشهد الطقسي الجنائزي كتقدمة أو قربان لتبعث الحياة وتفعّل "مبدأ التضحية من أجل غسل عار هزيمة السلطة"[2].

وفي هذا المِفصل "تبزُغ الناقة بكل دلالات الصلابة والثبات والديمومة في بنيتها وكل ما فيها من طاقة الاندفاع والاختراق والتجاوز"[3]، فمقطع الانتقال/ الرحلة "يمثل انتزاعا عنيفا للنفس من حديث الذاكرة إلى حديث مواجهة الواقع واقتحامه"[4]، فالزمن في الكلام على الطلل "لحظة غياب وانهدام في الطبيعة، وفي الذات لحظة ذكرى وتفجع"[5]، أما الزمن في الكلام على الراحلة (الناقة) "فلحظة اقتحام، لحظة مغالبة للعالم..

[1]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 106

[2]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 37

[3]– أبو ديب : كمال: الرؤى المقنعة: م س: 299

[4]– الجادر: محمود عبد الله: عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام، م س: 238

[5]– أدونيس: علي أحمد سعيد: كلام البدايات، دار الآداب، ط1، 1989: 56

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

لحظة قوة وسيطرة"[1]. فالناقة "كما يبدو وظيفيا أداة الشاعر الخيالية والطاقة العظيمة التي لا تكل في رحلة البحث عن الخلود"[2]، "كما أن كل تمزق وتشتت وقلق وتوتر ذات منابع جماعية –أي نابعة من كينونة الفرد في سياق الجماعة والآخر– تستثير اندفاعا نحو تفرد وتوحد مطلق بالنفس ومع النفس (وبصحبة الحيوان) في سياق مكاني (الصحراء) معزول عن الآخر"[3]. وهكذا تصبح القصيدة حلا لتناقضات وتوترات أساسية، حلا لأزمة الذات الداخلية "عن طريق شحن العالم الخارجي بطاقات هائلة تصعّد انشحان الذات إلى ذروته ثم تفرغه، وعن طريق اكتناه الحيوية في الطبيعة الحية، أي في الكائنات الحيوانية والإنسانية"[4].

فمن خلال الوقوف بالطلل يحس الشاعر بحتمية الموت وطرادِه "وكونه حقيقة مطلقة مستبدّة بوجود الإنسان، فالموت قوة متسللة غادرة"[5]. وإن مجرّد بعثه للماضي -من خلال الطلل- ليس تحقيقا للأبدية أو انتصارا على الموت وإنما على العكس، يدعّم هذا الإحياء من قوة الزمان وسطوته. فالشعور بفقد الأحبة ودروس الماضي جعل الشاعر يتمثل الموت واقفا أمامه، فهو لا يستطيع أن يفكّ إساره، ولذلك تسيطر النغمة المأساوية على شعوره ويطغى الإحساس الحزين على شعره.

لذا يلجأ الشاعر إلى توظيف الناقة كمشروع رامز في بنية القصيدة للدلالة على المقاومة والقوة والكمال والإرادة الفذة والعزيمة التي لا تلين، يقول:

[1]– أدونيس: علي أحمد سعيد: كلام البدايات، م س: 56

[2]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي: م س: 112

[3]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة، م س 395

[4]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة،ـــ م س: 433

[5]– عبد الفتاح: كاميليا: الشعر العربي القديم، دراسة تحليلية لظاهرة الاغتراب، م س: 209

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

فعُجتُ عليها ناقتي وهي سَبسبٌ سقَتهُ وجادَته الغَمامُ الرَّواجِسُ[1]

"فعُجتُ": توصيف للإنسان العامل الذي يأخذ على عاتقه البحث عن الضائع والمغتصب والمفقود وهو ما يتجلى في الصوت الأَنَوي (ضمير المتكلم) الذي يجلجل في الفضاء المنكوب بصوت الفاجعة ويمارس طقس الانبعاث.

فمن خلال توظيف رمز الحيوان/ الناقة يسعى الشاعر إلى تشكيل حركة مضادة لحركة الأطلال –حين تمثل هذه الأخيرة عالم الاندثار والتوتر والتشتت– تتمثل "في حركة اندفاع إلى الصحراء، إلى عالم مليء بالحدة الفيزيائية والخشونة الحسية وقادر على استثارة الانفعالات الحادة. ويتشكل هذا الاندفاع في صورة انطلاق على ناقة توصف بدرجات متفاوتة من الصلابة والبكورة والتفصيل. وتؤدي هذه الحركة وظيفية بنيوية أساسية هي تحقيق توازن مضاد يلغي أو يتجاوز الحركة الأولى في النص (حركة الأطلال مثلا) بدلالاتها الرمزية وبنية الانفعالات التي تستثيرها"[2]. فالناقة تتحول بوصفها "أداة ثقافية فاعلة في هذا النص إلى أمل حقيقي في إحداث التغيير وابتعاث الحياة، إذ يتحدى الشاعر بفعلها الصحراء المقفرة وزمنها الليلي الحالك السواد"[3]. وهكذا فالرحلة "تنتزع النفس من عالم الموت إلى عالم الحياة الصاخب"[4]، والناقة في القصيدة تلوح وسيلة مواجهة في الصراع الإنساني، ولهذا فإن الشاعر يتجه إليها اتجاهه إلى تشخيص فعالية وسيلة صراعه. والشاعر حين يضفي صفات القوة والصلابة على ناقته فإنما لتشاركه

[1]– ابن حزم: علي بن أحمد: ديوان ابن حزم، م س: 64

[2]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة: م س: 392

[3]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي، م س: 140

[4]– الجادر: محمود: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، عدد 12، ديسمبر 1979: 7

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

"تحديه في رحلته الأسطورية"[1].

فصورة الناقة تتصف بمقومات الكمال والقوة "ولا نكاد نجد شاعرا يصف ناقته بالهزال والضعف في أثناء شروعه بالرحلة. ولا ريب في أن هذه الهالة من الصفات توحي للمتلقي بمدى تشبث الشاعر بهاجس الحلم وتحقيق المراد على الرغم من سلسلة الإحباطات التي تتعارض مع آماله وثقافته"[2].

لقد تجاوز الشاعر حس الفناء والخواء الثاوي داخل الطلل المهدد بالاندثار بعد أن انفتح على إمكانية متاحة وطاقة سحرية تمثلت في الناقة الصلبة الثابتة الرشيقة المطيعة "ناقتي" التي لا ترتد عن المفاوز والقفار والأرض الخلاء، تقاوم وبإصرار المكان القاسي "السبسب"، فمشاهد الخواء والعفاء والخراب لا تخيفها ولا تنال من قوتها وجبروتها. فهي تشكل مصدر راحة الشاعر وإقدامه واعتداده بنفسه، فهي "إيحاء رامز إلى فلسفة التجاوز التي أسسها الشاعر.. وأضحى يتملكها الآن لعبور زمن القهر والتأزم"[3].

وتوظيف الناقة يأتي تفسيرا لاندفاعة الشاعر وتوهجه وطراده الذي لا ينتهي. فالنفس القلقة المتوترة ترفض السكون والاستقرار والتجمد. والناقة تعتبر ركيزة النص الذي تمنعه من الانهيار والتداعي وهي ركيزة الشاعر الذي تمنعه من الانهيار النفسي والعصبي، والملاذ الأخير للشاعر من حالة الإنهاك والاغتراب والطمس والتمزق والعزلة. فهي "رفيقة رحلة الأسى، رفيقة لحظة الإقرار بالتفتت والاندثار والانقطاع. الناقة تجسيد لفاعلية الزمن التي تولد التغير وتؤدي إلى تمزيق المكان والعلاقات الإنسانية"[4] مبلورة

[1]– الجادر: محمود: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، م س: 7

[2]– عليمات : يوسف: جماليات التحليل الثقافي: م س: 118

[3]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 43

[4]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة: م س: 278

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

"القوى المضادة للفقدان وحتمية الفناء في حضور حاد لها بدلا من رصدها باعتبارها تجارب تسكن الذاكرة وتنتمي إلى ماض بعيد من الحيوية والمنعة والصلابة"[1].

ب–توظيف الرمز الأنثوي/المرأة:

يتضح من خلال قراءة بنية القصيدة القديمة أن المرأة "تكون العامل الأبرز في اهتمام الشاعر بالمكان/ الطلل فهي –أي المرأة– تبدو نواة مركزية في صلب القصيدة"[2].

إن الوقوف بالطلل ناتج عن "مناخ التأمل المأساوي لذكريات الماضي الذي يعجز الشاعر عن بعث الحياة فيه"[3]، لكن الأمس يبقى مجرد صورة في ذاكرة الشاعر مستعصيةً على احتلال موقعها على أرض الواقع، ولهذا يظل الطلل صامتا ويكون صمته مبعث يأس قاتل. والمرأة تبقى صورة حرمان أبدي وظمأ متجدد يعجز الشاعر عن أن يطفيء غليله. وهكذا يوصد الزمن كل الأبواب المؤدية إلى عالم الأمس "ولكن الشعر هو الذي يفتح نوافذ الأمس ويقاوم سطوة الزمن وانغلاقه الأبدي. وهذا هو الغرض من الوقوف بالطلل"[4].

يقف الشاعر ابن حزم في النص التالي أمام ديار محبوبته الدارسة، التي أصبحت مرتعا للطير ومأوى للوحوش والغيلان تتردد فيها أصوات الرياح "بعد أن كانت مكانا جميلا تدب فيه الحركة الإنسانية الناسجة لتجربة العشق بين الشاعر ومحبوبته"[5] يقول:

[1]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة: م س: 456
[2]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي: م س: 136
[3]– الجادر: محمود: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، م س: 7
[4]– الجادر: محمود: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، م س: 7
[5]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي: م س: 136

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

فكان جوابُ الرَّبع إذ أنا سائلٌ وهل تفهمُ القولَ الربوعُ الأخارسُ[1]
فعرّجتُ عنه موجَعَ القلب ثاكلاً وبين الحشا لَذعٌ من الحزن ناخسُ
فديناه من ظبيٍ يلوح ضِياؤُه على مِثله حقّا أصاب المنافسُ

يوظف الشاعر المرأة بوصفها نسقا ثقافيا يتماسّ مع تجربة الفقد "التي دفعت الشاعر إلى إعادة بناء الذات.. من أجل عبور محنة التحولات وتشكيل واقع سلطوي جديد يعيد للمكان القهري حيويته وحضوره"[2]. فالوقوف بالطلل جمع بين نقيضين: "أحدهما يذكر بالفناء وهو الأطلال، والآخر يذكّر بالحياة وهو الحب. وليس اجتماع هذين النقيضين: الحياة والفناء في الموقف الواحد، وارتباط أحدهما بالآخر إلا تأكيدا لإحساس الشاعر بالتناقض العام الماثل سواء في العالم الخارجي أو عالمه الباطني"[3].

ففي خضم مشهد الخراب والعفاء الشامل يتكيء الشاعر على رمز الأنثى/ المحبوبة كعلامة نسقية لمواجهة مشهد الدمار الذي حلّ بالديار –والذي تجوس ناقة الشاعر من خلاله– محاولا بعث شيء من الماضي الدارس المقاوم لنسقية التخريب الذي شمل المكان. لقد تحدى الشاعر بثقافته قوة المكان المندثر "بعدم نسيان مكان الحياة الذي شغله الأنيس ذات يوم بحضوره"[4]. ويلح الشاعر على حالة الوقوف مرة أخرى كمحاولة منه لتحدي النسقية الطللية "إذ يرمز فعل المساءلة للديار استنطاقا للماوراء الطللي، وإشغالا للفضاء

[1]– ابن حزم: علي بن أحمد: ديوان ابن حزم، م س: ص 65
القصدية من بحر الطويل. ناخس: يقال نخس الدابة أي غرز مؤخرها أو جنبها بعود فهاجت.
[2]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 38
[3]– إسماعيل: عز الدين: روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1978: 19، 20
[4]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي، م س: 135

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

المكاني بصوت الإنسان الذي يستذكر صوت الحبيبة والمجموع في هذا المكان المتحول"[1].

إن مشهد الخراب المكاني يصدم الشاعر ويثير فيه حالة من الرعب وإحساسا بالموت الداهم. الموت الذي يتبدى في البيوت الخربة المتحولة والتي يعيش الشاعر تجربة الفقد فيها على حقيقتها، والتي يقابلها الشاعر بحركة مضادة متمثلة في وجود المحبوبة في المكان محاولا البحث عن وسيلة ناجعة "تخرجه من دائرية الانغلاق وسلطة المكان"[2]. فالمرأة هي علامة نسقية "تختزل في شيفرتها تلك الهواجس والأفكار الموّارة في خلد الشاعر حول آليات البحث عن الفردوس المفقود /السلطة الضائعة"[3]. فالمرأة بما ترمز به إلى الأمومة في الفكر الإنساني "تجسد انبثاق الحياة من العدم، كما تؤكد في الوقت ذاته حالة العبور /التجاوز من مرحلة التهدم الحضاري للمكان (المقطع الطللي) إلى مرحلة الميلاد وانبعاث الحياة وتجددها"[4]. فارتباط المرأة بالصيغة الطللية يبدو منبثقا عن ارتباط منابع الحنين إلى الاستقرار ووحدتها النفسية رغم تشبعها الموضوعي، فالمرأة كالأرض في قدرتها على استقطاب لهفة القلق المتحفز في نفس الشاعر[5].

3– توظيف الحلم والخيال:

في محاولة لمقاومة مشاهد التوحش والخراب الذي يشمل المكان الطللي ويسيطر عليه، يقف الشاعر "ابن سوار الأشبوني" وقد استبد به الاغتراب والنأي عن الوطن، متفرّسا في النجوم محاولا أن يلوذ ببعض الطوالع وأن يقرأ بعض المشاهد والذكريات

[1]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي، م س: 136
[2]– عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي، م س: 136
[3]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 39
[4]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 39
[5]– الجادر: محمود: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، م س: 6

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

البعيدة، يقول:

إلى ضوءِ ذلكَ البارقِ المتعالي حننتُ وحنَّت أينُقي وجِمالي[1]
تألَّقَ يُزجي عارضا مثلَ أدمُعي ويحكي فؤادي خفقُه المتَوالي
و لم تُنسِها الأَرطى رياضٌ تَرُودُها لدى موردٍ عذبِ المياهِ زُلالِ
فيا دارَهُم بالحَزن حُزني مجدّدٌ عَلَيك وقلبي ليس عنكَ بسالي[2]

إن الحلم يمثل "سر الزمان المتعالي، وسر تحرر الإنسان من ربقته، وسر انتصاره على الحاضر الأبدي واتصاله به. وهو يكشف عن سر الوجود وعن المستقبل باعتباره جزءا متكاملا لهذا الوجود"[3].

إن الشاعر يخاطب الجمادات (النجوم والبوارق) وقد افتقد المؤنس والرفيق وهو في غياهب العزلة المكانية والشعورية، فصارَ المكان جسداً من لحم ودَم، وصارت الحجارةُ جوارح في هذا الجسد المكسور. ووفق هذا المنظور، لم يعد غريباً أن تتماهى خصائص الجسم الإنساني مع خصائص الجسم المكاني الجغرافي. كما أن مخاطبة الحجارة، وطرح السؤال عليها، وانتظار الإجابة، أضحت أشياء عادية ومتوقَّعة. وهنا تكمن قوة الشِّعر، إذ إنه القادر على تحويل اللامعقول إلى معقول، والجماد إلى كائن حَي، والعَدَم إلى وجود، والنسيان إلى ذاكرة، والماضي إلى مستقبل، والهامشي إلى مركزي، والحلم إلى

[1]– ابن بسام: علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997: ق2: 821
القصيدة من بحر الطويل. البارق: الغيمة تبرق يمكن أن تجود بالماء. عارضا: العارض هو السحاب. الأرطى: جمع أرطاة، شجر ينبت في الرمل طيب الرائحة ثمره يشبه العنّاب.
[2]– ابن بسام: علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م س، ق 2: 821
[3]– برداييف: نيقولاي: العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960: 179

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

واقع.

فأحزان الشاعر متجددة ولا شيء يمكنه التخفيف من مصابه بفقد الوطن والأهل والعشيرة، وهو يتفرس في المكان الجديد المغترب عنه ويتفرس في وجوه الخلائق فلا يجد شيئا أو صورة قادرة على محو الأسى والحزن من داخله، فيلجأ إلى الهروب من الواقع والاتكاء على ضروب من أوهام العقل والقلب "وفيها جميعها تتمثل أزمة من أزمات الإحساس والفكر"[1].

وفي قوله: "إلى ضوء ذلك البارق المتعالي"، فتوظيف الشاعر لألفاظ الضوء والبرق محاولة منه لمقاومة الظلمة المسيطرة على الفضاء ومن ثم مقاومة اليأس والتشاؤم والسوداوية المسيطرة على نفسية الشاعر.

لقد تحول المكان/المنفى إلى "شبه ظاهرة مرضية لشدة كثافته وانعدام الأمل فيه فهو صار مكانا افتراضيا تستعاد فيه آلام الموت والانفصال عن الوطن وطقوس الولادة والموت"[2]. إن الشاعر يحلم "بفردوس مفقود أو ينتظر الخلاص في يوم موعود. هكذا هو يشعر بالغربة عن الواقع والعالم، بمقدار ما يتعلق بنماذج وصور وشخوص أو أسماء يستلهمها من أزمنة مضت"[3]. وهكذا يتقاطع مشهد الضوء (البارق) مع المشهد المطري الدفاق (يزجي عارضا –مورد عذب) ليحيل المكان إلى جنة أرضية متخيَّلة (رياض) تختال فيها الأحياء المنتشية بانبعاث الحياة وانحسار القيظ والتصحر، ومن هنا تتظافر عناصر بيئية صِرف لتعاضد الحلم والأمنية في محاولة لتخليد الطلل "ومن ثم تخليد تجربة الشاعر نفسه، فكانت العين والآرام والسخال وحمر الوحش التي تعمر الطلل بعد رحيل

[1]– هلال: محمد غنيمي: الرومانتيكية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت: 67

[2]– عبد ربه: ليانة عبد الرحيم: المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش، م س: 124

[3]– حرب: علي: أوهام النخبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2004: 73

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

أهله، وسيلة من وسائل بعث الحياة المتدفقة فيه..."[1]

كما لجأ بعض الشعراء إلى الوقوف وقفة تخيلية على أطلال الديار البعيدة واستيقاف الأصحاب معهم في مشهد تخيلي مفعم بالأسى والحزن والحنين المعذب. وهكذا بقدر ما يتعمق "الإحساس بضياع الوطن وبقدر ما يحس الشعراء بالاقتلاع والغربة في أرضهم يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكاثف جهدهم في بناء مدن متخيلة باللغة أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ"[2]. يقول الشاعر ابن جودي:

حننتُ إلى البرقِ اليمَاني وإنما نعالجُ شوقا ما هنالك هَانيا[3]
وما ضرَّ صحبي وقفةٌ بمحجَّرٍ أحبِّي بها تلكَ الرسومَ البواليا

يقول باشلار: "إن أحلام اليقظة تتغذى على كل أنواع المشاهد، ولكنها تنحو بطبيعتها نحو تأمل الفخامة. ينتج عن هذا التأمل موقف خاص جدا، وحالة داخلية لا تشبه أية حالة أخرى، إلى حد أن حلم اليقظة ينقل الحالم خارج العالم المباشر إلى عالم يحمل سمة اللانهائية"[4]. فالشاعر يبرز حنينه الموجع إلى بيوت العشيرة ومنازل الأسرة المفقودة، إن "البيت هو ركننا في العالم، إنه كما قيل مرارا كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"[5]. إن الشاعر يرى في البرق مثيرا يذكره بدياره متشكلا كباعث على استحضار الماضي البهيج وهو يتنقل في تلك الديار التي كانت تعج بالحياة

[1]– الجادر: محمود عبد الله: عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام، م س: 236

[2]– خرفي: محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر (دكتوراه)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006: 151

[3]– ابن خاقان: الفتح بن محمد: مطمح الأنفس: م س: 361

[4]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س: 170

[5]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س: 36

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

والحركة والصخب والأضواء الليلية المبهرة.

إن موقف الشاعر هنا هو محاولة للانتصار على الزمن "انتصار على الجفاف، انتصار على الظعن، انتصار على الآخر، انتصار على ظواهر الطبيعة بأن يعيد تصنيفها بين عدو وحليف"[1]. ومن هنا كانت رمزية الطلل تختزن هذه المعالم النفسية وتعمق من تجربتها، "فكأن الشاعر حين يشير إلى مخلفات الأطلال، يشير في الواقع إلى كل ما ظل خامدا في نفسه أو في شعوره الباطني، لذلك لم تعف هذه المعالم من ذكرى كما عفت هذه الآثار مهما غامر الزمن واستحدثت المعطيات في حياتنا"[2].

4– استحضار الماضي:

يرى "محمود الجادر" أن الوقوف بالطل هو "محاولة لاسترجاع صور الماضي المفقود، فتسترف جهد الشاعر رغم بعدها النسبي عن طبيعة تجربته الآنية..."[3]. ولقد حاول الشعراء –من خلال العودة إلى المكان– إيقاف حركة الزمن وتجميده في الماضي، يقول باشلار: "في بعض الأحيان نعتقد أننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن، في حين أن كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض الذوبان ويودّ حتى في الماضي حين يبدأ البحث عن أحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن. إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثفا. هذه هي وظيفة الزمن"[4].

[1]– كموني: سعد حسن: الطلل في النص العربي، دراسة في الظاهرة الطللية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1999: 21

[2]– بوبعيو: بوجمعة: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، م س: 41

[3]– الجادر: محمود: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، م س: 6

[4]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س، 39

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

يحاول الشاعر ابن الأبار أن يعيش "تثبيتات السعادة"[1] بتذكر البيوت وإعادة الحديث عنها أو إحياء ذكراها. يقول:

لِجيرَةٍ أصبحوا أَيدي سَبا شِيَعا هذا وما عرَّسوا في عُرصة اليمنِ[2]
وَجدي بها وبعَيشٍ في حدائقها وجدَ الذي أرِقَت عيناه بالوَسَنِ
أيامَ نسحبُ أبرادا وأردِيةً من العفافِ مَصُوناتٍ عنِ الدَّرَنِ

إن المكان في رؤية الشاعر "يجسد ذاكرة مليئة بالأحداث والتحولات"[3]، فإن الذات الشاعرة تستذكر آنيا تلك الأحداث التي لا يمكن أن تنمحي من ذاكرتها "لتتخذ منها منطلقا لاستعادة ذلك المجد السلطوي الماضوي"[4]، ويبدو أن الشاعر يرفض كما تظهر القراءة النسقية "فكرة العفاء أو الاندثار المكاني إذ إن الاعتقاد أو التسليم بهذه الفكرة يعني لأول وهلة استسلام الشاعر للواقع المؤلم واليقين بحتمية اليأس من استعادة الماضي /حلم السلطة"[5].

إن الأطلال في دلالتها الرمزية شكل من أشكال الزمن وصورة من صوره، والربط بين الأطلال والزمن "يجعلها مسرحا لعمله وبنوع من الترابط والاقتران بينهما يبدو الطلل تحولا للزمن وهيئة من هيئاته"[6]، فهل ستكون حياة الشاعر مثل الديار التي عفت ومحت رسومها والتي كانت "تطفح بالحركة والحياة يوم أن يكون أهلها في

[1]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س: 7ّ3
[2]– ابن الأبار: محمد بن أبي بكر: ديوان ابن الأبار، م س: 337
[3]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 34
[4]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 34
[5]– عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، م س: 34
[6]– نصير: أمل طاهر: الانكسار في شعر المتنبي: م س: 24

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

ربوعها ثم تتحول إلى قفار موحشة يخيم عليها السكون والموت"[1]. فالبون شاسع "بين ماضي الديار الزاهر وحاضرها الكئيب.. غدت بعد الفراق ناحلة وكأنها إنسان يضمر ويضعف"[2]. فالشاعر وتحت ضغط الماضي يلوح "مسكونا بهاجس الذاكرة والعودة إلى الماضي بحثا عن الهوية الضائعة"[3].

إن القصيدة تنطلق "في محاولة لتطوير حركة نقيضة للموت والزمن"[4] من خلال استرجاع الماضي بمحاولة تكثيفه في اللحظة الحاضرة وخلق نوع من الديمومة، فنحن "ننظر إلى محاولة الشاعر لاسترجاع ما مضى من أيام، بعد أن عاين الطلل وما انتهى إليه، استشعارا منه بضرورة التغلب على الزمان بتكثيف أقسامه في "الآن" ليخلق من التحامها نوعا من "الأبدية"[5]، فالطلل يجدد حياة الإنسان الذي ينحدر بسرعة نحو الشيخوخة وفي الوقت نفسه يمثل الشباب الدائم الذي لا يخضع لتيار الزمن المدمر "وإلا كيف نعلل ذلك الشباب الدائم الذي تتمتع به الطبيعة وتلك الرجعة المستمرة للفصول، في الوقت الذي لا بد للإنسان فيه من أن ينحدر بخطى سريعة أو وئيدة نحو الشيخوخة"[6].

هكذا تتشكل القصيدة في "إطار رؤية الزمن والموت من حركة فناء تجسد فاعلية

[1]– أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979: 217

[2]– طنوس: وهيب: الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، م س: 218

[3]– بركات: حليم: الاغتراب في الثقافة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006: 154

[4]– أبو ديب: كمال: جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر)، م س: 197

[5]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي: م س: 222

[6]– إبراهيم: زكريا: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، القاهرة، د ت: 136

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

الزمن التدميرية وانهيار الوجود الإنساني الجماعي وتفتت العالم، ومن حركة مضادة تؤسس الصلابة والمناعة والقوة في وجه هذا الزمن المدمر. وفي هذه الرؤيا ثمة بعدان عميقا الدلالة: الأول هو تسرب صورة البقاء والديمومة والصلابة إلى صلب صورة الأطلال نفسها، أي إلى صلب رمز التفتت والهشاشة، ممهدة لبروز صورة الصلابة والتماسك والقدرة على البقاء.."[1].

يقول ابن شهيد:

عَهدِي بها والشَّملُ فيها جامِعٌ مِن أهلِها والعيشُ فيها أخضرُ[2]
ورياحُ زهرَتِها تلوحُ عليهمُ بروائحَ يفترُّ منها العنبرُ
والدارُ قد ضَربَ الكمالُ رواقَه فيها وباغُ النُّقصِ فيها يقصِّرُ
والقومُ قد أمنوا تغيُّرَ حسنِها فتعمَّمُوا بجَمالها وتأزَّروا
يا طِيبَهُم بقصورها وخُدورِها وبُدورُها بقصورِها تتخدَّرُ
والقصر قصر بني أميةَ وافرٌ من كلّ أمرٍ والخلافةُ أوفرُ

يتحوَّل المكانُ إلى قلبٍ نابض بالحيوية، حيويةِ الذكريات والأحلام المبنية في العالَم الموازي للعالَم الواقعي. فالشاعرُ يتحرك في عالَم افتراضي، ويُعيد بناء الماضي في الحاضر لكي يَراه ويَستمتع برؤيته، "فالعوادي التي تصيب الأثر المعماري لها في النفس والفكر ولها في الخيال والتصور معان ذات رموز ودلالات تجمع بين الدهشة والشجن والاعتبار"[3]، وأمام مشهد الخراب الذي عم كل شيء لم يبق لدى الشاعر إلا تلك

[1]– أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة، م س: 487

[2]– ابن شهيد: أحمد بن عبد الملك: ديوان ابن شهيد: م س: 110

[3]– حجازي: محمد عبد الواحد: الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002: 18

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

الأطلال وهي تزداد "هرما وقدما مع مرور الزمن، لهذا يتمسك بها الشاعر في حياته ويراها نوعا من تحقق رغباته، والاتصال الروحي بالأحباب الذين رحلوا عنه"[1]، فقد تكون الأطلال ملاذا يؤوب إليه الشاعر وقد "تكون هذه الدمن البوالي قد تحولت عند هؤلاء الشعراء إلى نوافذ يطالعون من خلالها ونحن معهم مأساة الإنسان وعذاباته في هذه الحياة"[2].

يذهب بعض الباحثين إلى حد الاعتقاد بأن المقدمة الطللية "تقوم بعملية التطهير، حيث تساعد على تحمل المواقف الصعبة، فتجدد طاقات نفسه، وتبعد ظلمات وحشتها وتلطف من ذهولها كلما تعكر صفوها، ومن هنا لم يأت بكاء الشاعر للبكاء ولكنه أتى علة لشفاء نفسه الملتاعة.."[3]. يقول ابن جودي:

حننتُ إلى البرقِ اليماني وإنما نعالجُ شوقا ما هنالِك هانيا[4]
فيا راكبا يَطوي البلادَ تحمّلَن تحيَّتَنا إن كنتَ تلجأُ لاقيا
وما ضرَّ صحبي وقفةٌ بمحجَّرٍ أحيِّي بها تلكَ الرسومَ البواليا

فالشاعر يستنهض همة أصدقائه أن يقفوا بدلا عنه بتلك الديار. فهو "حين يقودنا إلى قلب البيت فكأنما يقودنا إلى قلب قوة مغناطيسية إلى منطقة أمان كبرى"[5]. فهو هنا يتنقل ذهابا وجيئة بين الماضي المشرق والحاضر الكئيب المشبع بالقتامة. هذا الارتحال

[1]– قديد: ذياب: المتنبي بين الاغتراب والثورة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2011: 170
[2]– زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي: م س: 210
[3]– بوبعيو: بوجمعة: جدلية القيم في الشعر الجاهلي: م س: 40
[4]– ابن خاقان: الفتح بن محمد: مطمح الأنفس ومسرح التأنس، م س: 361
[5]– باشلار: غاستون: جماليات المكان: م س: 56

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

لمقاومة الزمن والفناء "هو ارتحال لطلب التغيير، ارتحال للمزيد من القوة، القوة في مواجهة الزمن وعوامل الفناء"[1]. فالمشهد مكتظ بالخراب والوحشة والصمت الموحش المطبق على الفضاء. ويبدو الشاعر في حالة صدمة وكأنه لا يصدق ما يرى وهو يجول بطرفه في تلك الديار محاولا استرجاع الأضواء والألوان والروائح وتلك "الدرجات المتغيرة للأصوات الحبيبة التي أصبحت صامتة الآن"[2]، "فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا"[3]، فالحياة تبدو مسيجة محمية دافئة في صدر البيت[4].

وهكذا فالشعراء في وقفتهم على تلك البيوت الخربة التي دمرها الزمن إنما يحاولون استعادة الماضي المزدهر الجميل المليء بالبهجة والحركة والحياة عبر الوقوف على الأطلال الدارسة.

إن الوقوف على الطلل يمثل "برهة التحول من الماضي إلى المستقبل، إذ هي تختزن الماضي كنقيض مباشر للحاضر وكمطابق صميمي للمستقبل المأمول"[5]، ومن هنا كانت كانت رمزية الطلل "تختزن هذه المعالم النفسية وتعمق من تجربتها، فكأن الشاعر حين يشير إلى مخلفات الأطلال من نؤي وأثافي وعرصات الدار "يشير في الواقع إلى كل ما ظل خامدا في نفسه أو في شعوره الباطني، لذلك لم تعف هذه المعالم من ذكرى كما عفت هذه الآثار مهما غامر الزمن واستحدثت المعطيات في حياتنا، لأن النفس لا تفنى

[1]– عبد الفتاح: كاميليا: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب: م س: 66

[2]– باشلار: غاستون: جماليات المكان، م س: 77

[3]– باشلار: غاستون: جماليات المكان، م س: 38

[4]– باشلار: غاستون: جماليات المكان، م س: 38

[5]– الفيومي: سعيد محمد: فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 15، العدد 2، يونيو 2007: 246

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

وأن عواطفها وتجربتها هي التي خلدت هذه الأشياء المقدسة في نفوسنا"[1].

الخاتمـــة:

– الظاهرة الطللية هي ظاهرة ثقافية عكست رؤية الشاعر الأندلسي للحياة والوجود وليست مجرد موتيف نمطي يتموضع في بنية القصيدة الأندلسية كثابت لفظي مجرد عن كل خلفية فكرية أو معرفية أو حضارية أو ثقافية.

– لم يكن وصف الشعراء الأندلسيين للأطلال أو ذكر الديار الدارسة مجرد صورة تقليدية جامدة لا حسّ فيها ولا حياة، بل كان ذلك الوقوف وذلك التذكر دلالة إحساس صادق بالحياة ودلالة وعي فطري بالوشائج الإنسانية التي تربط الإنسان بالناس والأشياء والمكان.

– لم تكن الظاهرة الطللية في الشعر الأندلسي مجرد بكائيات على النؤي والأوتاد وبقايا الرسوم والدمن. ولم يستوقف الشعراء مشهد الآرام تروح وتغدو فرحة مستبشرة بتجدد الحياة في الطلل، ولم يعد النؤي أو بقايا الحياض مما يثير انتباه الشاعر الأندلسي حيث لا يشكل عامل القحط والجفاف موضوع بحث أو اهتمام.

– شكلت الظاهرة الطللية الأندلسية نسقا ثقافيا مُحيلا على قضايا الإنسان والوجود وإشكالية التعاطي مع الزمن والموت والاندثار ومقاومة الفناء والتحلل والانطفاء في ظل تغيرات اجتماعية وسياسية وثقافية وحضارية هائلة جسدت خوف الشعراء وارتباكهم إزاء الفتن والفواجع ومشاهد التدمير للمشهد السياسي في كافة أصقاع الأندلس خاصة منذ مطالع القرن الرابع الهجري وتشكّل عصر الدول والإمارات وإلى غاية الزوال النهائي للوجود العربي الإسلامي في الأندلس.

[1]– بوبعيو: بوجمعة: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، م س: ص 41

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأبار: محمد بن الأبار القضاعي: ديوان ابن الأبار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1999

2. إبراهيم: زكريا: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، القاهرة، د ت

3. أبو ديب: كمال: جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنوية في الشعر)، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984:

4. أبو ديب: كمال: الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986

5. أدونيس: علي أحمد سعيد: كلام البدايات، دار الآداب، ط1، 1989

6. أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979

7. إسكندر: نبيل: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988

8. إسماعيل: عز الدين: روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1978

9. باشلار: غاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984

10. براونة: فالتر: الوجودية في الجاهلية: مجلة المعرفة السورية: عدد 4، السنة الثانية، حزيران 1963

11. برداييف: نيقولاي: العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

12. بركات: حليم: الاغتراب في الثقافة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006

13. ابن بسام: علي بن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997

14. بوبعيو: بوجمعة: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

15. الجادر: محمود عبد الله: عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 33، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، نيسان 1982

16. الجادر: محمود عبد الله: قراءة معاصرة في القصيدة الجاهلية، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، عدد 12، ديسمبر 1979

17. حجازي: محمد عبد الواحد: الأطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002

18. حرب: علي: أوهام النخبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2004

19. ابن حزم: علي بن أحمد: ديوان ابن حزم: تحقيق: صبحي رشاد عبد الدايم، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1990

20. حفني: محمود: مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987

21. ابن خاقان: الفتح بن محمد: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1989

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

22. ابن خاقان: الفتح بن محمد: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983

23. خرفي: محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر (دكتوراه)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006

24. خليف: مي: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، 1990

25. خليف: يوسف: مقدمة القصيدة في الجاهلية، مجلة المجلة: عدد فبراير، 1965

26. خميسي: آدم: المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية وصدر الإسلام، دراسة في النسق الثقافي، دكتوراه، جامعة باتنة1، 2017

27. زيدان: عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003

28. ابن شهيد: أحمد بن عبد الملك، ديوان ابن شهيد، تحقيق: يعقوب زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة. د ت.

29. طنوس: وهيب: الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ط1، 1976

30. عبد الفتاح: كاميليا: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008

31. عبد ربه: ليانة عبد الرحيم: المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش، ماجستير، جامعة بير زيت، 2012

32. عطوان: حسين: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1970

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

33. عليمات: يوسف: جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي نموذجا"، طبعة وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2004

34. عليمات: يوسف: النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015

35. فيدوح: عبد القادر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

36. الفيومي: سعيد محمد: فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 15، العدد 2، يونيو 2007عمان، الأردن

37. عقاق: قادة: دلالة المكان في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

38. قاسم: سيزا: القاريء والنص (العلامة والدلالة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002

39. قباجة: محمد عبد المنعم: الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني، ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، 2008

40. ابن قتيبة: عبد الله بن عبد المجيد: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة

41. قديد: ذياب: المتنبي بين الاغتراب والثورة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2011

42. كموني: سعد حسن: الطلل في النص العربي، دراسة في الظاهرة الطللية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1999

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
X ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 462–505 تاريخ النشر: 17–11–2020

43. ابن اللبانة : أبو بكر بن عيسى: ديوان ابن اللبانة، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان، ط2، 2008

44. ابن عباد: محمد بن عباد: ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق: حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 2000

45. مؤنسي: حبيب: فلسفة المكان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

46. نصير: أمل طاهر: الانكسار في شعر المتنبي (مقاربة نصية)، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيو 2006

47. هلال: محمد غنيمي: الرومانتيكية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت

48. يحيى: زكي : رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الإسلام، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 7، 2011، الجامعة المستنصرية، العراق.